



سورة الكهف - الرحلة العجيبة

خطب المناسبات

محاضرة في الأردن

2020-03-30

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أماناً دعوته وقادة ألوته وارصّ عنا وعنهم يا رب العالمين. أيها الإخوة الأكارم: إختي في لقاء الاثنين، وقد حجبنا فيروس كورونا عنكم وعن اللقاء المباشر، فنسأل الله أن يكون في هذا اللقاء عبر البث المباشر فائدة إن شاء الله عز وجل، وإن كانت لا تغني عن اللقاء المباشر، إختي في كل مكان أسعد الله أوقاتكم بكل خير وبركة.



فصل سورة الكهف

إخواننا الكرام: حديثنا اليوم يناسب واقعنا في كثير من مفرداته، أتحدث اليوم عن سورة نقرأها كل جمعة، ومن منا لا يقرأ سورة الكهف كل جمعة؟ في كتاب الله مئة وأربع عشرة سورة، اختار النبي صلى الله عليه وسلم منها هذه السورة، وهي سورة الكهف، ليجعلها منهجاً لنا نقرأها في كل جمعة مرة. لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن كله؟ سورة الكهف وردت فيها مجموعة أحاديث صحيحة ساذكر بعضها مما يفيدنا في تحديد المحور العام لهذه السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ قَتِيلَةٌ أَمْتُوا بِرَبِّهِمْ

(سورة الكهف : الآية 13)

هؤلاء لجأوا إلى الكهف فُخِصُوا من فتنة الدين، لم يُفْتَنُوا في دينهم، رأوا أنهم لا يستطيعون أن يقيموا دين الله عز وجل وهم بين قومهم فاعتزلوهم ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْبِذُونَ إِلَّا اللَّهَ قَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ

(سورة الكهف : الآية 16)



الكهف آخر الزمان

فالكهف هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ليُعَصِمَ من الفتن، في آخر الزمن قد يكون الكهف بيتك، وقد يكون الكهف مسجدك، وقد يكون الكهف إخوتك في الله تلتقي معهم فتتجاوزون وتؤمنون بربكم ساعة، وقد يكون الكهف درس علم تحضره، إذا لابد من أن نعصم أنفسنا من الفتن .
أيها الأخوة الكرام : الآن إذاً عنوان أو محور السورة : العصمة من الفتن، اتضح ذلك من خلال الأحاديث الشريفة، ثم من خلال اسم السورة.

هيكل السورة والقصص التي تحتويها



الدين هو سعادة الأبد أو شقوة الأبد

نتابع الآن: هذه السورة فيها مقدمة عشر آيات، وخاتمة عشر آيات أطن تقريباً، وبينهما أربع قصص، السورة فيها أربع قصص، وكل قصة من هذه القصص ترسم طريقاً لعصمة من فتنه من الفتن، في مقدمة السورة وخاتمتها جاءت الآيات تتحدث بشكل نظري عن العصمة من الفتن، أما القصص فعبّرت بشكل عملي قصصي من خلال أشخاص، والقصص أبلغ ما يكون في التعبير عن الواقع، فجاءت القصة لتعبر، فهذه القصص الأربعة هي عصمة من رؤوس فتن في حياتنا.
ما هي الفتن الأساسية في الحياة؟ دينه، هذه أعظم فتنة، وهي فتنة الدين، اللهم أصلح لي ديني، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، كل المصائب تهون إلا مصيبة الدين، نسأل الله السلامة، لأن الدين هو سعادة الأبد أو شقوة الأبد، إذاً القصة الأولى هي للعصمة من فتنة الدين، أن يُفْتَنَ الإنسان في دينه، ويمثلها أصحاب الكهف.
القصة الثانية هي قصة العصمة من فتنة المال: أن يأتي للإنسان مالٌ فيفتن به ويمسكه ويتعالى به على عباد الله ويتكبر به على خلق الله فهنا قد فتته المال، فصاحب الجنتين فتن في ماله فأدبه الله تعالى وأهلك له الحرث والنسل فعاد إلى ربه، هذه فتنة المال، العصمة من فتنة المال هي القصة الثانية.

القصة الثالثة من قصص سورة الكهف: وهي التي سأناولها بالتفصيل وكل الحديث من أجلها هي فتنة العلم، فتنة العلم: وهي أن يفتن الإنسان بما علمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَوْقُ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

(سورة يوسف : الآية 76)

ويمثلها موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي هو في كثير من الروايات الخضر وهو نبي من الأنبياء في الأرجح، وسأرجع إليها فلن أفصل فيها.
الفتنة الرابعة هي فتنة السلطة: أن يكون الإنسان له سلطة على قوم، أن يكون له أسباب، بيده أسباب معينة من أجل فعل شيء أو الإجماع عن شيء، يُمكنه الله من الأسباب فكيف يتصرف؟ وهذه قصة ذي القرنين الذي أتاه الله السلطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتِيَ سَبَبًا

(سورة الكهف : الآية 84-85)

واستخدم سلطته في الحق وفي نصرة المظلومين، ولم يستخدم سلطته في الباطل أو في الطغيان على المستضعفين، فنجح في الاختبار ذو القرنين.



في سورة الكهف أربعة قصص

أيها الإخوة الكرام : إذا هذه أربع قصص كل منها تمثل عصمة من فتنة:

1. فتنة الدين يمثلها أصحاب الكهف.
2. فتنة المال يمثلها صاحب الجنتين الذي أفتتن في ماله.
3. فتنة العلم والتي سأحدث عنها بالتفصيل ويمثلها موسى عليه السلام في قصته مع نبي الله الخضر.
4. والقصة الرابعة قصة ذي القرنين وهي فتنة السلطة.

قصة موسى مع الخضر

أيها الإخوة الكرام : أرجع إلى القصة الثالثة التي أريد أن أتناولها بالتفصيل، ولعلنا في لقاءات أخرى نتناول أبعاداً أخرى في سورة الكهف، فكلام الله عز وجل يحز لا يستطيع إنسان أن يبلغ منه مهما تكلم إلا كما يبلغ المخطئ إذا غمس في مياه البحر .

إخواننا الكرام : قصة موسى مع الخضر تهمننا في هذه الأيام لذلك اخترتها، لماذا تهمننا قصة موسى مع الخضر في هذه الأيام؟

أهمية قصة موسى مع الخضر



أسئلة إجاباتها في قصة موسى مع الخضر

اليوم يسأل إنسان لماذا يُقتل الأطفال؟ أليس الله موجوداً لماذا لا يمنع أن يُقتل طفلٌ بريء لا ذنب له؟ اليوم يسأل إنسان لماذا هذا المرض والفيروس الذي أغلق على الناس أبواب بيوتهم لماذا لا يوقفه الله تعالى؟ هذا سؤال، اليوم يسأل سائل هؤلاء الطغاة الذين يقتلون البشر ويعيثون في الأرض فساداً وينشرون الخراب ويحتلون الأرض ويدمرون الحجر ويقتلون البشر ويخلعون الشجر لماذا لا ينتقم الله منهم؟ لماذا يتركهم يفعلون ما يفعلون؟ لماذا يتركهم يؤذون المؤمنين والمؤمنات؟ سؤال، هذه أسئلة، أجوبتها جميعاً في قصة موسى عليه السلام مع الخضر، وسيتضح لكم ذلك الآن بالتفصيل إن شاء الله، كيف؟

إخواننا الكرام : ما الذي حصل؟ موسى عليه السلام كان يخطب على المنبر، ويقال يخطب ولا يقال يخطب، لأن يخطب هي لمن جاء يريد امرأة ليتزوجها، فيأتي مكسوراً فتأتي يخطب بالكسر، فهو بين قبول أهلها أو رفضهم فيخطب، أما من يرتفع إلى المنبر فهو بالرفع يخطب، ومثلها قُبِلَ وقُبِلَ، فالقبلة تقف بين يدي الله مكسوراً فقبلتك هي إلى الكعبة المشرفة، والقبلة صمّ تضم بها من تحبه وقُبِلَ، لكن لا تُقبَلوا أحد في هذه الأيام ولا تصافحوه عملاً بالأسباب واتخاذاً للقواعد الصحية التي علمنا إياها الأطباء وأولوا الأمر ممن يعلمون أحكام المرض.

فتنة العلم

أيها الإخوة الكرام : هذا فاصلٌ منشط، نعود، فموسى عليه السلام كان يخطب على المنبر فسأله سائلٌ من الناس من أعلم أهل الأرض؟ موسى عليه السلام أجاب إجابةً ربما متسريعة، ربما يريد أن يُعلم هذا الإنسان أن يُعلم أنه نبيٌ من أولي العزم حتى يأخذ منه العلم، فقال موسى عليه السلام: أنا، لأنه نبيٌ من أولي العزم من الرسل، يعني موسى عليه السلام ليس رسولاً عادياً، موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، هو وقف في وجه فرعون الطاغية الذي قال: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى

(سورة النازعات : الآية 24)

فموسى قال: أنا، فهو في أهل الأرض هو أعلم أهل الأرض، لكن يبدو أنه تسرع لأنه ما نسب العلم إلى الله فقال: قد علمني الله، فقال: أنا، فهذه كلمة أنا لم تكن في موضعها والله أعلم، فلما قال أنا أراد الله عز وجل أن يُعلمه أنك مهما بلغت في العلم من رتبةٍ فهناك من هو أعلم منك (وَقَوْكَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فأرسله إلى عبيد من عباده أنه رحمةٌ من عنده وعلمه من لدنه علماً،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عَيْنِنَا وَعِلْمَنَا مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا

(سورة الكهف : الآية 65)

لقاء موسى مع الخضر

علمه علم مختلف عن علم موسى عليه السلام، فقال له: اصبر، وواعده على شاطئ البحر عندما يفقد موسى عليه السلام حوته وطعامه فيعود فيجده، يعني وضع له المنهج ليصل إلى العبد الصالح، وفعلاً موسى عليه السلام قام لأداء المهمة التي وُكِّلَ بها ليتعلم، وبدأ يتعلم من الخضر عليه السلام، لكن الآن بتواضع عظيم جداً قال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ وَمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا

(سورة الكهف : الآية 66)



تواضع طالب العلم

(هَلْ أَتَيْكَ؟) بتواضع طالب العلم، لأن موسى عليه السلام الآن أرسل إلى هذا، فهذا أعلم منه، رغم أن موسى عليه السلام من أولي العزم، وربما يكون أفضل من الخضر كما يقول كثير من أهل العلم، موسى عليه السلام ربما بالفضل عند الله أفضل لأنه قام بمهمات كبيرة جداً في الحياة، في نضال مستميت ضد فرعون وطغيانه من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، فموسى عليه السلام له مكانته الكبيرة وليس لأنه تعلم من الخضر فهو أقل، ليس هذا هو المعنى، ولكن الآن هو أرسل إلى الخضر ليتعلم شيئاً جديداً لا يعلمه، ولتعلّمه للأمة إلى قيام الساعة، حتى أصبح قرآناً يتلى، نتلوه إلى اليوم في كل جمعة وفي كل يوم نقرأ قصة موسى مع الخضر عليهما السلام.

الإرادة القدرية والإرادة الشرعية



كل شيء يقع بإرادة الله

ما الذي حصل في هذه الرحلة العجيبة؟ هذه رحلة عجيبة لا مثيل لها في التاريخ، هذه الرحلة التي حدث فيها أمور كثيرة يجمعها، قبل أن أتحدث عن الأمور، يجمعها أن موسى عليه السلام كان عنده علم الشرع، بينما الخضر كان عنده القدر الذي يقع بأمر الله عز وجل، نحن بين إرادة الله الشرعية وإرادة الله القدرية، الخضر عليه السلام كان يعلم القدر موسى عليه السلام كان يعلم الشرعة، كيف؟ الآن عندما يقتل إنسان في الأرض ظلماً وعدواناً، هذا يقع بإرادة الله أم بغير إرادة الله؟ حاشاه جل جلاله أن يقع في ملكه ما لا يريد، يقع بإرادة الله، لكنه لا يقع بأمر الله ولا يقع برضا الله، ولا يقع بتشريع الله، ولا يجوز القتل وسيحاسب القاتل في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما، لكن الذي وقع وقع بإرادة الله، هذه الإرادة القدرية التي يعلمها الخضر عليه السلام.

الآن عندما يطيع الإنسان ربه ويصلي، هذه الصلاة تقع بإرادة الله؟ طبعاً بإرادة الله، هل بإرادة الله القدرية أم الشرعية؟ الشرعية، لأن الله تعالى قال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

(سورة البقرة : الآية 153)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

(سورة البقرة : الآية 43)

فنحن عندما نقيم الصلاة فنحن ننفذ شرع الله، والقاتل عندما يقتل لا ينفذ شرع الله، حاشاه جل جلاله أن يأمر بالمنكر، ولكنه ينفذ إرادة الله لحكمة يعلمها الله، ولا يُعفيه ذلك من المسؤولية أمام الله، أرجو أن يكون الموضوع واضحاً، لأنه في العقيدة له تعقيدات كثيرة أردت أن أبسطه حتى يفهم كيف أن موسى عليه السلام يعلم الشرع، ينفذ الشرع موسى، أما الخضر فيعلم القدر، ما يقع في الكون من قدر الله يعلم حكمه، هل يعلم من نفسه لا، قال: (وَمَا قَعَلْتُ عَنْ أَمْرِي)، أبدأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا قَعَلْتُ عَنْ أَمْرِي

(سورة القصص : الآية 82)



موسى يعلم الأمر والخضر يعلم الحكمة

فعله من علم علمه إياه الله وأمره به، ولا يجوز لإنسان اليوم أن يتصرف كما تصرف الخضر، أبدأ، في خرق السفينة أو في قتل الغلام، من ناحية أخرى موسى عليه السلام يعلم الأمر، لكن الخضر يعلم الحكمة، موسى يعلم الأمر والخضر يعلم الحكمة، من زاوية ثالثة موسى يعلم الشهادة والخضر علمه الله شيئاً من الغيب الذي لا نراه بأعيننا.

أُعيد:

* موسى يعلم الشرع، الخضر يعلم القدر.

* موسى يعلم الأمر، والخضر يعلم حكمة الأمر ومقصد الأمر.

* موسى يتصرف وفق عالم الشهادة، والخضر يتصرف وفق عالم الغيب .

مجريات الرحلة العجيبة

فتعلم موسى بذلك دروساً ودروساً من الخضر، ما الذي حصل في هذه الرحلة العجيبة؟

خرق السفينة

الأمر الأول: (خرق السفينة): عندما صدوا إلى السفينة الخضر خرق السفينة، هذا إتلاف للممتلكات، يعني اليوم لو سألت سائل لماذا دُمّر البيت؟ لماذا حصل هذا الزلزال؟ لماذا جاءت طائرة فقصفت هذا البيت فدمرته؟ تدمير ممتلكات، لماذا جاء إنسان سيء في الليل وعطل لي سيارتي وسرق منها شيئاً؟ لماذا؟ إتلاف ممتلكات، هذا الذي حصل مع الخضر، الخضر خرق السفينة هذا لا يجوز، موسى عليه السلام احتج فوراً لماذا تخرق السفينة؟ ما الذي يدفعك إلى خرق السفينة؟ لأن هذا لا يجوز في عالم الشهادة، ولا في أوامر الشرع لا يجوز أن تفعل ذلك، فلم يحتمل موسى رغم أنه عاهده ألا يسأله حتى يُخبر له منه ذكراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا

(سورة الكهف : الآية 70)

ولكنه لم يستطع أن يتحمل فاعترض فوراً، لماذا تخرق السفينة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَخْرِقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا

(سورة الكهف : الآية 71)



الأمر يقول لا تخرق السفينة

هذا الأمر يؤدي إلى شيء سيء جداً يركبون بها فيغرقون لأن السفينة خُرقت، موسى لا يعلم هذا الطرف من الغيب الذي عَلَّمَهُ الله للخضر، موسى لا يعلم أن هناك قدراً يجريه الله في الكون هو يعلم أن الأمر يقول: لا تخرق السفينة فقط، هذا الذي يحصل بالضبط.

الآن: كأن الله تعالى الآن يُدَكِّزُ موسى بأشياء كثيرة في حياته السابقة في معاناته مع فرعون، ألم يوضع موسى يوم كان رضيعاً في اليم، في البحر؟ هل وُضِعَ ليغرق؟ كل إنسان يرى أم موسى تضعه في تابوت وتلقى التابوت في اليم أين يذهب به؟ غرق مُحْتَمٌ، هل وضع موسى ليغرق في اليم؟ لا، وضع لينجو، وهذه السفينة الآن خُرقت من أجل أن ينجوا أصحابها لا من أجل أن يغرقوا، لأن (وَرَأَوْهُمْ مِلَّةً يَأْخُذُ كُلٌّ سَفِينَةً غَصَبًا) قال: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا

(سورة الكهف : الآية 79)



نتيجة وضع سيدنا موسى في اليم

ونسب العيب إلى نفسه قال: (فَأَرَدْتُ) ما قال: أراد ربك مع أنها إرادة الله بنفذه، لكن ما نسب العيب إلى الله أدباً منه، هذا أدب الأنبياء، أدب الخضر عليه السلام، قال: (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) فعاب السفينة وخرقها، فخرق السفينة هو في حقيقته إتلافٌ للممتلكات، ولكن نتيجته نجاهٌ لمن سيركب في السفينة، هذه واحدة، تماماً كما حصل مع موسى يوم كان وضعه في اليم هو في ظاهره ليغرق لكن النتيجة كانت أنه سلم ووصل إلى قصر فرعون ورباه فرعون الذي كان يقتل الأولاد رباه في قصره وعلى عينه ليقتل بعد ذلك على ملكه، لأنه إذا أراد ربك إنفاذ أمر أخذ من كل ذي كبدٍ نيةً، فليس هناك لب وعقل مع الله، فانت بين يدي الله عز وجل يسيرك كيف يشاء (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) جل جلاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

(سورة يونس : الآية 22)

هذه القصة الأولى .

قتل الغلام

القصة الثانية: (قتل الغلام): هذه أشد من الأولى على موسى، هناك إتلاف ممتلكات، هنا غلام زكي، نفيس زكيّة طاهرة لم تتأثم بعد، لم تتلبس بالآثام والمعاصي، طفل يُقتل! اليوم كم يقول لنا أناس عبر الهاتف وعبر الواتساب وفي الفيسبوك لماذا يُقتل الأطفال؟ يقولها البعض ضعفاً بالإيمان، ويقولها البعض إستفساراً لمعرفة الحكمة، ويقولها بعض المغرضين لإخراج الناس من دين الله كما يتوهمون، ولن يستطيعوا ودين الله غالبٌ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

(سورة يوسف : الآية 21)

بغض النظر لماذا يقولونها لكن ألا نسمع هذا السؤال: لماذا يقتل الأطفال؟ والأطفال تحديدًا، تُسأل عن الأطفال تحديدًا، لأن الكبير يقول: يعني ربما مذنب، ربما كذا، أما الطفل لماذا يقتل؟ فهنا في هذه القصة الخضر يقتل طفلاً، الله أكبر، موسى عليه السلام لم يحتمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَقْتُلْ نَفْسًا زَكِيَّةً يَعْتَرِ نَفْسِ

(سورة الكهف : الآية 74)

ماذا تفعل تقتل طفلاً؟! موسى لا يدرك هذا الطرف من الغيب، لا يدرك القدر، هو يتعامل بالشهادة، يتعامل بالشرعية، قتل الغلام حرام لا يجوز أن يقتل. الآن كأن الله عز وجل هنا أيضاً يذكر موسى عليه السلام، كل الأحداث التي تجري الآن جرت مع موسى سابقاً، جرت معه سابقاً في عالم الشهادة وهو لم يعرف حكمته إلا بعد حين، ألم يكن فرعون يُذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم؟ يذبح الأبناء، ليس طفلاً واحداً، كان يذبح أطفال كثر فرعون، لكن الله عز وجل كانت له حكمة فيما يجري أنت تجهلها ولن تفهمها حتى يكون لك علمٌ كعلم الله، وهذا مستحيل، أياك أحدا علم الله حتى يفهم حكمة الله؟!



كل شيء موطفٌ لخير عند الله تعالى

تماماً كما أقول لك اليوم: هذه نشرة طبية من أعلى طبيب في الأرض تقول لي: لم أفهمها، أقول لك: تستطيع أن تفهمها لكن اذهب وتعلم عشر سنوات كما تعلم الطبيب الذي كتبها حتى تفهمها، فأنت عندما يكون لك علم الطبيب تفهم حكمة الطبيب، والله المثل الأعلى، لكنك لن تستطيع أن تبلغ علم الله، وبالتالي لن تستطيع أن تفهم حكم الله في كل ما يجري، قد تفهم حكم الله في كثير مما يجري، لكن ليس في كل ما يجري، ما تراه شراً في نظرك هو موطفٌ لخير عند الله تعالى، فاطمئن وهدي من روعك، ولا تأخذك الحمية، لماذا هذا الفيروس اليوم؟ اطمئن، انتظر هناك حكم لا تعلمها أنت، الله عز وجل له حكمٌ خفيت عنك.

إِذَا لَمَّا قَتَلَ الْخَضِرُ الْغَلَامَ أَيْضاً فَرَعُونَ كَانَ يَذِخُّ أَبْنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَلَيْسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ قَتَلَ قَيْطِيّاً؟ لَكِنَّهُ قَتَلَهُ خَطَأً، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقْتُلْهُ عَمْدًا، وَالْدَّلِيلُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَكَرَهُ مُوسَى

(سورة القصص : الآية 15)



مَسِيرَةُ حَيَاةِ مُوسَى كُلِّهَا نَصْرَةٌ لِلْمَظْلُومِينَ

أَرَادَ أَنْ يَنْتَصِرَ لِمَظْلُومٍ، يَعْنِي هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبُ جِدَّةٍ فِي الطَّبَعِ وَاضِحَةٌ فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَصِرَ لِمَظْلُومٍ، وَمَسِيرَةُ حَيَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهَا مَسِيرَةُ نَصْرَةٍ لِلْمَظْلُومِينَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَصِرَ لِمَظْلُومٍ فَوَكَرَ الْقَيْطِيَّ فَقَضَى عَلَيْهِ، فَاعْتَمَّ مُوسَى لِذَلِكَ الْأَمْرِ كَثِيرًا، لَكِنَّ هُنَاكَ حِكْمَةً لِلَّهِ أَعْلَمُ بِهَا، فَأَيْضًا هُنَا يَذْكُرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَقَتَلَ الْغَلَامَ يَذْكُرُ فَرَعُونَ الَّذِي كَانَ يَقْتُلُ الْأَبْنَاءَ، وَيَذْكُرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَعْلَتِهِ بِقَتْلِ الْقَيْطِيَّ، وَلِكُلِّ وَاقِعٍ حِكْمَةٌ عِلْمُهَا مِنْ عِلْمِهَا وَجْهَلُهَا مِنْ جْهَلِهَا، لَكِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي الْمَوْقِعَ مِنْ أَنْ يَنَالَ حِسَابَهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ أَوْ فِي كِلَيْهِمَا.

بناء الجدار

الْأَمْرُ الْثَالِثُ الَّذِي فَعَلَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَهْوَنُ الْأُمُورِ: يَعْنِي هَذَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مُخَالِفٌ لِلنَّفْسِ بِحَيْثُ تَثَوَّرَ مِنْهُ، لَكِنَّهُ شَيْءٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ، لِأَنَّهُمَا لَمَّا وَصَلَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ (اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ □ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

(سورة الكهف : الآية 77)

مُنْتَهَى اللَّؤْمِ أَنْ تَصَلَ مَتَعِبًا فَتَطْلُبَ طَعَامًا لِتَأْكُلَ لَا تَطْلُبُ شَيْءً، أَضَيْفُونَا عِنْدَكُمْ نَحْنُ مَتَعِبَانِ (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا) أَهْلُ الْقَرْيَةِ رَفَضُوا أَنْ يُضَيِّفَهُمَا عِنْدَهُمْ فَهَذَا مُنْتَهَى اللَّؤْمِ، فَالْمُنْطَلَقُ يَقُولُ أَنْ نَعَادِرَ دُونَ أَنْ نَعْطِيَهُمْ أَيْ مَعْرُوفٍ، لَكِنَّ الْخَضِرَ (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ) يَعْنِي لَيْسَ مَعْرُوفًا عَادِيًّا، الْخَضِرُ الْآنَ شَمِرٌ عَنْ سَاعِدِيهِ وَبَدَأَ بِنَبْنِ الْجِدَارِ، مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآنَ اسْتَعْرَبَ لَمْ يَضْفُوكَ ثُمَّ تَقِيمُ لَهُمُ الْجِدَارَ! (قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) يَعْنِي نَحْنُ بِحَاجَةِ مَالٍ وَبِحَاجَةِ ضَيَافَةٍ وَهُمْ أَبَوَاءُ، أَقَامَ الْجِدَارَ وَلَكِنْ خَذَ أَجْرًا عَلَى هَذَا الْجِدَارِ الَّذِي أَقَامَهُ، مَا الَّذِي حَصَلَ بِشِبَابِهِ ذَلِكَ فِي مَسِيرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَيَاتِهِ وَهُوَ يَنْفِذُ شَرَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُنَا قَدَرُ، مُوسَى وَهُوَ يَنْفِذُ شَرَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَمْ يَسْغِي لِلْفَتَاتَيْنِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ أَجْرًا،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ

(سورة القصص: الآية 24)



سيدنا موسى لم ينتظر كلمة شكر

(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ) لم يقف لينتظر حتى كلمة شكر، لم ينتظر كلمة شكر، ولا ذهب معها ليسمع كلمة شكر (ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَقِيرٌ) ما ابتغى الأجر إلا من الله، فموسى فعل ذلك شرعاً، فالآن يفعل الخضر قدراً، فلماذا تعترض يا موسى إذا؟ لماذا الاعتراض وأنت قد صنعت مثل هذا؟ هنا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَابِقٌ لِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

(سورة الكهف: الآية 78)

شرح أفعال الخضر

وبناؤه بالحكم، فقتل الغلام كان من أجل أن يبدل الله عز وجل والديه بخير منه، لأن هذا الغلام سيرهقهما (طُغْيَانًا وَكُفْرًا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا

(سورة الكهف: الآية 80)

وخرق السفينة لأنها كانت (لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ)، (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا

(سورة الكهف: الآية 79)

واقامة الجدار من أجل غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، من أجل أن يحافظ على الكنز المدفون تحت الجدار حتى إذا كبرا استخرجا كنزهما وانتفعا به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً
مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

(سورة الكهف: الآية 82)



كل حدث وراءه حكمة إلهية

فكل أفعال الخضر التي فعلها بأمر الله وحده وليست من لدنه، ولا يجوز لإنسان أن يفعلها إلا وفق منهج الله، لا قتل الغلام ولا خرق السفينة، أما إقامة الجدار فهذه أرادة كونية قدرية وافقت إرادة شرعية، فلا حرج أن تقيم جداراً ولا تتبغى أجراً، أما الأمران الأوليان فلا يجوز بحال طبعاً أن يفعلهما إنسان، فليس هناك إنسان أتاه الله اليوم من لدنه علماً، فقد انتهى عصر النبوات والرسالات، لكن أراد الله أن يعلمنا هذا الدرس إلى يوم القيامة: بأن ما تراه عينك من أحداث لا تعلم حكماً لها إعلم أن وراءها حكمة ولكنك تنظر بعين الشهادة ولا تعلم شيئاً من الغيب، فتأدب مع ربك وإياك أن تقول: لماذا يحصل ذلك، ولماذا لا يتدخل الله هنا، ولماذا ما زال الطغاة يقصفون ويضربون ويدمرون، ولماذا ما يزال الأطفال يموتون، ولماذا المجاعات، ولماذا الحروب، ولماذا الفيروسات، ولماذا الأمراض، تأدب مع الله، فهذا ملك الله وهذا كون الله وهو جل جلاله يتصرف به كيفما شاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ

(سورة الأنبياء: الآية 23)



يذل الجهد في تطبيق شرع الله

فهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين، يصرف الأمور بأمره وكل أمر سيوظفه جل جلاله إلى خير لدينه ولعباده ولأمة المسلمين، عرف من عرف وجهل من جهل، فلا تجهد نفسك في البحث عن الأسرار، ولكن أجهد نفسك في تطبيق شرع الله عز وجل وبما أمر الله، اترك إرادته الكونية القدرية له فهو جل جلاله صاحب العلم المطلق والحكمة المطلقة، ونفذ إرادته الشرعية فهي التي سيسألك عنها يوم القيامة إذا وقعت بين يديه، لن يسألك لماذا دُمر هذا البيت؟ ولكنه سيسألك لماذا عشت هذا الإنسان؟ سيسألك عما أمرك، لا عما قدره جل جلاله في بعض بقاع الأرض، وكنت غير قادر على تغيير شيء فيه، هذا لن تسأل عنه، ستسأل عما كنت تملكه من أوامر الله الشرعية هل نفذتها أم لم تنفذها؟ هذه قصة فتنة العلم، هذه فتنة العلم، أن يعلم الإنسان فيطن أنه قد أوتي من كل شيء علماً، فيبدأ ويتكبر على عباد الله بعلمه، والأعجب من ذلك والأعظم من ذلك والأشد فرية من ذلك أن يبدأ في علم الله عز وجل هذا من أكبر الكبائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

(سورة البقرة: الآية 169)

فببداً ويتدخل في علم الله، ويسأل عن علم الله، ويماري في حكمة الله فيما يجري، دعك من ذلك، هذا شأنه جل جلاله فهو أعلم بما يصلح عباده وهو الحكيم وهو العليم جل جلاله.

العبرة من قصة موسى والخضر

أيها الإخوة الكرام: إن علا في داخلك صوت موسي عليه السلام فابحث عن جكم الخضر عليه السلام، كيف؟ يعني إذا وجدت في داخلك موسي يسأل دائماً يقول لك: لماذا؟ وما السبب؟ وما الحكمة؟ ولماذا نفعل ذلك؟ وهل حقاً هناك يعني لماذا ملك اليمين في الإسلام؟ وهل الإسلام ظلم المرأة؟ وهل في الإسلام إرهاب؟ وهل؟ وهل؟ وهل؟.. إذا جاءت إليك هذه الخواطر لماذا يطغى الطغاة؟ لماذا يظلم الظالمون؟ لماذا لا يتدخل الله الآن لصالح المسلمين؟ لماذا لا يقضي الله على هذا الفيروس؟ إذا اشتدت في داخلك وعلا في داخلك صوت موسي فاجأ إلى جكم الخضر وسلم الأمر لله عز وجل وسلم الأمر لله عز وجل



بين تسليم الخضر وصوت موسي

سلم الأمر لله عز وجل، لكن إن سيطر عليك تسليم الخضر وقلت كل شيء يجري بقدر ونحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً وجلس في بيتك ولم تحرك ساكناً لنصرة ضعيف ولم تحرك ساكناً لإطعام مسكين وقلت كل شيء بقدر الله وسيطر عليك هذا الشعور شعور التسليم فعندها أيقظ في داخلك صوت موسي من أجل أن تعمل، لأن القدر لا يتأفي العمل ولأن القدر والاستسلام لله عز وجل لا يعني أن تترك تنفيذ أوامر الله وتترك تنفيذ شرع الله أبداً، هذا قدر ووقع بقدر، ونسلم الأمر لله عز وجل ولكن واجبي أن أعمل ولا أكون كالذين قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنْطَلِعُمْ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَهُ

(سورة يس: الآية 47)

هذا كلام جهل، هذا كلام المقصرين، هذا كلام المتكلمين وليس المتوكلين على الله، هذا كلام العاجزين والعجز واليأس والإحباط والقنوط ليس في قاموس المؤمن، المؤمن يعمل.

{ عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ قَسِيْلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا }
(أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ)

(إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ قَسِيْلَةٌ) الساعة قامت لماذا القسيلة؟ من سيأكل منها؟ قال: فليغرسها، ليعلمنا أن ديننا دين عمل لا دين كسل، إياك أن تترك العمل. عمر رضي الله عنه مر بقريّة قال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتُم أنتم المتوكلون، المتوكل من ألقى بذرة في الأرض ثم توكل على الله.



التسليم لأمر الله سبيل النجاة

إذا أكرر العبارة التي هي ملخص ملخص الملخص، إن علا في داخلك صوت موسى بتساؤلاتٍ وتساؤلاتٍ وتسؤولاتٍ عن حكم وحكم فابحث عن تسليم الخضر، وقُل كلّه بأمر الله، واستسلم لله، وإن سيطر عليك يوماً تسليم الخضر سيطرةً مذمومةً بحيث أقعدك عن العمل وقال لك كلمة حقٍّ أريد بها باطل لا تعمل فالأمور تجري بالمقادير، فأيقظ في داخلك تساؤلات موسى الشرعية، وقُل ينبغي أن أعمل وأن أنصف المظلوم وأن أرعى الممتلكات وأن أمنع الظلم والقتل، فأنا مكلف وقدر الله عز وجل لا يتعارض مع ما كلفني به الله تعالى من القيام بما أمر به الله تعالى، هذه قصة موسى عليه السلام مع الخضر إنها قصة فتنة العلم، والنجاة منها تكون بالتسليم لأمر الله عز وجل وبأن تعلم دائماً أن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

(سورة يوسف: الآية 76)

وأنك مهما بلغت في العلم فهناك من هو أعلم منك، وفوق الجميع علم الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(سورة البقرة: الآية 216)

وتلك سورة الكهف التي أمُرنا أن نقرأها كل جمعة فهي سورة العصمة من الفتن، تعصمنا من الفتن وتنبير لنا طريقنا ما بين الجمعيتين، بل تنير طريقنا كما في حديث آخر؛ من مقامنا إلى مكة المكرمة لأنها تعصمنا من الفتن.

اللهم اكشف عنا الوباء، واكشف عنا الغلاء يا أرحم الراحمين، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، اللهم أجربنا من سيء الأسقام واكشف الوباء عن العباد والبلاد وعن جميع البشر يارب العالمين، اللهم اجعلنا بعد هذه المحنة في منحةٍ عظيمةٍ منك، واجعل هذه المحنة خيراً عميماً يا أكرم الأكرمين فأنت ولي ذلك والقادر عليه.

إلى الملتقى استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.